

الفقيه المفتي زيد بن ثابت رضي الله عنه من مفتي الصحابة

بقلم
د. محمد رواس قلعه جي*
أستاذ الفقه بالدراسات العليا
في جامعة الملك سعود

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا تجمد له ولياً مرشداً. وأصلي وأسلم على رسول الهدى والرحمة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد :

فإن الهدى والنور الذي جاء به محمد ﷺ قد تلقفه أصحابه رضوان الله عليهم، فحمل كل واحد منهم من هذا النور ما قدر على حمله، كمّا ومضموناً، فمنهم من أوقر قلبه وعقله منه كله، ومنهم من أخذ لوناً من ألوانه فأوقر قلبه وعقله منه، وحذق كلٌ بما أخذ بقدر ما بذل من جهد وأوقف النفس في هذا السبيل.

وكان من الذين أخذوا كل لون من هدي رسول الله ومن النور الذي جاء به زيد بن ثابت رضي الله عنه الذي كان أحد الستة الذين آلت إليهم الفتوى

* د. محمد رواس قلعه جي أستاذ الفقه في الدراسات العليا بجامعة الملك سعود وهو صاحب موسوعة :
فقه السلف التي بلغت حتى الآن سبعة عشر مجلداً. وله العديد من الكتب الأخرى. في القصة والسيرة
النبية والعقيدة وعلوم القرآن وغيرها. كتب للموسوعة الفقهية في الكويت أكثر من مائة وخمسين
بحثاً نشر أكثرها والباقي في طريقه للنشر.

من أصحاب رسول الله ﷺ. ويسعدني أن أقدمه اليوم للقاريء الكريم راجياً من الله تعالى أن ينفعنا بعلمه إنه سميع مجيب.

١ — زيد بن ثابت :

هو الصحابي الجليل زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لؤذان بن عمرو^(١) بن عبد مناف — أو عوف — بن غنم بن مالك بن النجار، الأنصاري الخزرجي^(٢) وكنيته أبو سعيد على الأشهر، وقيل : أبو ثابت، وقيل : أبو عبد الرحمن، وقيل أبو خارجة^(٣) وأمه هي: النّوّار بنت مالك بن معاوية ابن عدي بن عامر بن غنم من بني عدي بن النجار^(٤) وفي طبقات ابن سعد: هي النّوّار بنت مالك بن صرمه بن مالك بن عدي بن عامر^(٥) وتزوجت النّوّارة بعد مقتل والد زيد بن ثابت عمارة بن حزم بن زيد بن لؤذان وولدت له مالكا، فمالك أخو زيد بن ثابت لأمه^(٦) وعلى هذا فهو عربي صريح، خزرجي، أنصاري.

ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة، إذ أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة المنورة مهاجراً إليها كان عُمرُ زيدٍ إحدى عشرة سنة^(٧) وتوفي سنة ٤٥ للهجرة على أرجح الأقوال، وله من العمر ست وخمسون سنة^(٨) وكانت وفاته في المدينة المنورة.

نشأ في المدينة المنورة يتيماً، لأن والده قُتل يوم بعث — قبل الهجرة بخمس سنين — وكان زيد في السادسة من عمره^(٩).

(١) في دائرة المعارف الإسلامية «عمر».

(٢) تهذيب التهذيب ودائرة المعارف الإسلامية، كلاهما في مادة: زيد بن ثابت.

(٣) الاستيعاب ١٨٨/١ وطبقات خليفة بن خياط ص ٨٩٠ طبع مطبعة العاني ببغداد، والاصابة برقم ٢٨٨٢.

(٤) طبقات خليفة بن خياط ص ٨٩٠ ودائرة المعارف الإسلامية مادة: زيد بن ثابت.

(٥) طبقات ابن سعد ٤٨٦/٣ طبع دار بيروت وتجريد أسماء الصحابة للذهبي برقم ٣٧٢٦.

(٦) طبقات ابن سعد ٤٨٦/٣ و ٤١٩/٨.

(٧) تهذيب التهذيب ٣٩٩/٣ وصفة الصفوة ٧٠٤/١ طبع دار المعرفة بتحقيقنا.

(٨) الاستيعاب ١٨٩/١ وصفة الصفوة ٧٠٦/١.

(٩) الاصابة برقم ٢٨٨٢ وعيون النجابة ص ٩٩ طبع دار الكتاب العربي.

تزوج زيد بن ثابت أم جميل فولدت له سعيداً. وتزوج أم سعد جميلة ابنة سعد بن الربيع ووحيدته ودخل بها في خلافة عمر بن الخطاب، وقال لها: إن كنت تريدين أن تتكلمي في ميراثك من أبيك فتكلمي، فإن أمير المؤمنين عمر ورث، وكان أبوها قتل يوم أحد وهي حمل^(١) فولدت له: خارجة، وسليمان، ويحيى، وعمارة، وإسماعيل، وسعداً، وعبادة، وإسحق، وحسنة، وعمرة، وأم اسحق، وأم كلثوم. وتزوج عمرة بنت معاذ بن أنس، فولدت له: إبراهيم، ومحمداً، وعبدالرحمن، وأم حسن. وكانت له أم ولد، فولدت له: زيداً، وعبدالرحمن، وعبيدالله، وأم كلثوم. وكانت له أم ولد أخرى، فولدت له: سليطاً، وعمران، والحارث، وثابتاً، وصفية، وقرية، وأم محمد^(٢).

٢ — إسلامه :

أسلم زيد بن ثابت صغيراً، ولعل أمه كانت سبباً في إسلامه مبكراً، فهي قد اسلمت قبله وبايعت النبي ﷺ^(٣) وذلك قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، حتى أن الرسول ﷺ لما قدم المدينة المنورة كان زيد يكتب الوحي^(٤)، ويحفظ شيئاً من القرآن، وكان يجيد قراءة سبع عشرة سورة من القرآن الكريم^(٥).

٣ — ذكاؤه :

كان زيد بن ثابت رضي الله عنه ذكياً متميزاً بين أقرانه، حتى قال الذهبي: كان زيد أحد الأذكاء^(٦).

(١) طبقات ابن سعد ٣٥٩/٨ وقد تناقض ابن سعد في اسم أم جميلة فقال في ٣٥٩/٨ أنها عمرة بنت حزم بن زيد بن لؤذان وقال في ٤٧٧/٨ أنها: حلاوة بنت أنس بن سنان بن وهب بن لؤذان بن عبد ود الساعدي.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٢٨/٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٤١٩/٨.

(٤) تهذيب التهذيب ٣٩٩/٣ وصفة الصفوة ٤٠٧/١.

(٥) الإصابة برقم ٢٨٨٢.

(٦) سير أعلام النبلاء ٤٢٧/٥.

ومما يدل على هذا الذكاء المتميز أنه كان يتقن القراءة والكتابة إتقاناً يؤهله لكتابة الوحي مع كل ما تتطلبه هذه المهمة من نباهة ودقة وهو في سن الحادية عشرة.

وقد رأى فيه الرسول الكريم محاييل الذكاء حين قدم الرسول المدينة مهاجراً من مكة، فكلفه بتعلم لغة اليهود — رغم صغر سنه — لأنه عليه الصلاة والسلام كان لا يأمن أن يدسّ عليه اليهود في معاهداتهم معه شيئاً وهو لا يعلم، فأقبل زيد على تعلم لغة اليهود، فتعلمها تحدثاً وكتابة في سبعة عشر يوماً فقط، وهذا أمر لا يتأتى إلا لشخص خارق الذكاء، قوي الحافظة، روى ابن حجر في الإصابة عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد بن ثابت قال: أُتي بي النبي ﷺ مقدمه المدينة، فقيل هذا من بني النجار. وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت عليه، فأعجبه ذلك، فقال: تعلم لغة يهود، فأني ما آمنهم على كتابي، ففعلت، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب إليه، وإذا كتبوا إليه قرأت له. وفي رواية: إني أكتب الحقوق فأخاف أن يزيدوا عليّ أو ينقصوا، فتعلّم السريانية، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً^(١).

وما أظن أن إنساناً يتعلم لغة قوم تحدثاً وكتابة في سبعة عشر يوماً إلا وهو في الغاية من الذكاء وحدة الذهن.

٤ — فكاهته :

لا يُخل بقدر الرجل أن يكون فكها مزاحاً بين أهله وذوي خاصته، إذا كان جاداً وقوراً في مجالس الجدّ، وفي غير أهله وخاصته، وكذلك كان زيد ابن ثابت رضي الله عنه، فإنه كان في أهله فكها مزاحاً، يؤنسهم بحديثه ويفرّج عنهم، ويزرع البسمة على وجوههم. أما إذا جلس في مجالسه العامة التي

(١) الإصابة برقم ٢٨٨٢ ودائرة المعارف الإسلامية مادة زيد بن ثابت.

يحضرها القريب والغريب، أو جلس إلى القضاء التزم الوقار وما حدث إلا بالجد من القول، وبهذا وصفه ثابت بن عبيد عندما قال: «كان زيد من أفكه الناس في بيته، وأزمتهم إذا خرج إلى الرجال»^(١) وهو لا يريد بقوله «أزمتهم» إلا التزام الوقار، ولذلك جاء في الإصابة «ما رأيت رجلاً أفكه في بيته، ولا أوقر في مجلسه من زيد بن ثابت»^(٢).

٥ - جهاده :

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة المنورة مهاجراً من مكة كانت سنُّ زيد ابن ثابت إحدى عشرة سنة^(٣)، ولكنه كان فتى مؤمناً صادق الإيمان، وبحلول رسول الله المدينة المنورة واحتضانه زيد بن ثابت منذ حلوله وتكليفه بأعباء تنوء عنها الرجال كتعلم لغة اليهود، وكتابة الوحي، قد نما الإيمان في قلب زيد، وزادت الرؤية عنده وضوحاً في معرفة الحق وأهل الحق، والباطل وأهل الباطل، واشتد الحماس لديه للحق وأهله، وأن الحق يجب أن يعلو ويظهر بقوة الحجة التي يحملها، وإلا فبالقوة إن استعملت القوة في إخفاء صوت الحق وتحطيم أهله.

ولذلك رأينا يوم بدر — في السنة الثانية من الهجرة — زيد بن ثابت وهو لم يتم الخامسة عشرة من عمره يتقدم بكل ثقة ليكون بين صفوف المجاهدين في بدر، ولاحظ رسول الله وجود زيد بن ثابت بين صفوف المجاهدين، فاستصغره وردّه صلوات الله وسلامه عليه^(٤)، لأن الحرب لا يفلح فيها إلا ذو زند مفتول، وزيد لما يبلغ ذلك بعد.

ولما كان يوم أحد — في السنة الثالثة للهجرة — اشترك فيه زيد بن ثابت — كما تذكر بعض الروايات، وإن كانت بعض الروايات الأخرى تقول

(١) صفة الصفوة ١/٧٠٦.

(٢) الإصابة في تمييز أسماء الصحابة برقم ٢٨٨٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٣/٣٩٩ و صفة الصفوة ١/٧٠٤.

(٤) الإصابة، الترجمة رقم ٢٨٨٢ وتاريخ الطبري ٢/٤٧٧ و ٥٠٥.

إن أول مشاهدته كان يوم الخندق^(١).

وقد ساهم رضي الله عنه في حفر الخندق والدفاع عنه، وكان ممن ينقل التراب مع المسلمين، فأعياه التعب فنعمس فنام، فجاء عمارة بن حزم فأخذ سلاحه وهو لا يشعر، فلما استيقظ زيد ولم يجد سلاحه دُعر وتغيرت حاله، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال له: «يا أبا رُقاد» ويومئذ نهي رسول الله ﷺ أن يُروِّع المؤمن، ولا يؤخذ متاعه جاداً ولا لاعباً^(٢).

ونحن لا نشك في أنه إشتراك في وقائع تلت الخندق ولم يرد له اسم فيها لأنه لم يكن له فيها دور مميز.

واشترك يوم تبوك، وكانت راية بني النجار يوم تبوك مع عمارة بن حزم، فأخذها الرسول ﷺ من عمارة ودفعها إلى زيد بن ثابت، فتكدر لذلك عمارة وقال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أبلغك عني شيء؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لا، ولكن القرآن مُقدَّم، وزيد أكثر أخذاً للقرآن منك^(٣) واشترك في قتال المرتدين في أيام أبي بكر، مع مجموعة من أولاده، ووقعت فيهم مقتلة عظيمة يوم ذاك، قتل فيها من أولاد زيد بن ثابت فيما أحصيت: ابنه سعد بن زيد^(٤) ويحيى بن زيد، وسليمان بن زيد^(٥)، وسليط بن زيد، وعبد الرحمن بن زيد، وعبد الله بن زيد، وزيد بن زيد^(٦) وأصيب فيها زيد بن ثابت بسهم في كتفه، ولكنه لم يضره^(٧).

(١) الإصابة برقم ٢٨٨٢ وتهذيب التهذيب ٣/٣٩٩ وصفة الصفوة ١/٧٠٤.

(٢) الإصابة في ترجمة زيد بن ثابت برقم ٢٨٨٢.

(٣) الإصابة برقم ٢٨٨٢ وقد ذكر الخبر وسكت عنه، والاستيعاب ١/١٨٨ وقال ابن عبد البر: هذا خبرٌ عندي لا يصح.

(٤) طبقات ابن سعد ٥/٢٦٣.

(٥) طبقات ابن سعد ٥/٢٦٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٥/٢٦٥.

(٧) الاستيعاب في ترجمة زيد بن ثابت.

٦ - علمه :

كان زيد بن ثابت رضي الله عنه متعدد جوانب المعرفة، فهو لم يحصر نفسه في جانب من جوانبها، بل تناول العلوم المعروفة في عصره، فتعلمها وبرع فيها، ساعده على ذلك ذكاؤه الوقاد، ورغبته الصادقة، ومما برع فيه من العلوم ما يلي :

(أ) الكتابة والخط :

تذهب بعض الروايات إلى أن زيد بن ثابت رضي الله عنه كان قد تعلم الكتابة قبل قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة — وكان عمره عند قدوم رسول الله ﷺ إحدى عشرة سنة — وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ^(١) ولكن ابن سعد يروي في الطبقات عن محمد بن الصباح قال: أخبرنا شريك عن قريش عن عامر قال: كان فداء أهل بدر أربعين أوقية، فمن لم يكن عنده، علّم عشرة من المسلمين الكتابة، فكان زيد بن ثابت ممن علّم^(٢).

ونرى أنه لا تناقض بين الروايتين، فزيد بن ثابت كان مع نفر قليل من المسلمين يعرفون الكتابة، ولكن كثيراً منهم لا يتقنونها، وإن من يباشر مهمة عظيمة ككتابة الوحي لا بد وأن يكون على درجة عظيمة من إجادة الكتابة، ولذلك نجد الرسول ﷺ يدفع زيد بن ثابت رضي الله عنه — كاتب الوحي — إلى من يجيد الكتابة من هؤلاء الأسرى ليزداد إتقانه للكتابة، وتصلق موهبته فيها، وهكذا كان، والله أعلم.

(ب) لغة العرب وشعرها :

كان زيد بن ثابت رضي الله عنه عالماً بشعر العرب حافظاً له، وقد ذكر سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت، أن جدّه زيد بن ثابت روى من شعر

(١) تهذيب التهذيب ٣/٣٩٩ وصفة الصفوة ١/٧٠٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/٢٢٢.

كعب بن مالك تسعين قصيدة^(١)، وإن من يروي تسعين قصيدة لشاعر واحد، لابد وأن يحفظ ويروي الكثير لغيره من الشعراء.

وقد كان لزيد بن ثابت مجالس مع حافظي الشعر ورواته يتناشدون فيها الأشعار، وقد بقي رضي الله عنه محافظاً على هذه المجالس حتى أواخر أيامه، قال محمد بن كثير بن أفلح: إن آخر مجلس جالسنا فيه زيد بن ثابت مجلس تناشدنا فيه الشعر^(٢).

(ج) اللغات الأجنبية :

كان زيد بن ثابت رضي الله عنه يحسن لغتين — على الأقل — إلى جانب لغته العربية. أما اللغة الأولى فهي السريانية، وهي اللغة التي يتحدث بها اليهود آنذاك، وقد تضافرت الأخبار على أنه كان يجيد هذه اللغة قراءة وكتابة، وأنه تعلمها بتوجيه من الرسول ﷺ، وأنه كان يقرأ لرسول الله الكتب التي ترده بهذه اللغة، وأنه يكتبُ له بها حين يريد أن يكتب بها^(٣) وإن كنا لا نعرف أن رسول الله ﷺ قد وجه كتاباً معيناً بهذه اللغة لأحد، ولا تحفظ لنا الآثار النبوية شيئاً من هذا فيما نعلم.

وقد اختلف في الزمن الذي أمر فيه الرسول ﷺ بتعلم السريانية، فقد ذكر الطبري في تاريخه في حوادث السنة الرابعة للهجرة فقال، وفي هذه السنة أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود، وقال لا آمن أن يُبدّلوا كتابي^(٤).

ولكن روى الإمام أحمد في المسند وابن حجر في الإصابة ما يفيد أن

(١) تهذيب الآثار للطبري ١٤/٤ بتحقيق ناصر بن سعد الرشيد.

(٢) سنن البيهقي ٢٤٠/١٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٥٨/٢ ومسند الإمام أحمد بن حنبل ١٨٢/٥ و١٨٦ والإصابة برقم ٢٨٨٢ وتاريخ الطبري ٥٦٢/٢.

(٤) تاريخ الطبري ٥٦١/٢.

الرسول ﷺ أمر زيد بن ثابت بتعلم السريانية قبل هذا التاريخ، وأعادت هذه الرواية أن تعلمه يعود إلى مقدم الرسول من مكة إلى المدينة، فقد روى خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد بن ثابت قال: أتى بي النبي مقدمه المدينة — وفي رواية الإمام أحمد: لما قدم الرسول المدينة — فقبل هذا غلاماً من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت عليه، فأعجبه ذلك، فقال: هل تُحسِنُ السريانية؟ قلت: لا، فقال: تعلّم لغة يهود، فإني ما آمنهم على كتابي — ففعلتُ، فما مضى لي نصف شهر — وفي رواية: سبعة عشر يوماً — حتى حذقته، فكنت أكتب له إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له^(١).

فقوله في هذه الرواية «أتى بي النبي مَقْدَمُهُ المدينة» تفيد فور مقدمه المدينة أو بعيد مقدمه إليها بقليل، وهذا هو الأرجح، والله أعلم.

وأما اللغة الثانية: فهي اللغة الفارسية، وقد عرفنا ذلك من رواية ساقها الطبري في تاريخه في سياق حديثه عن إسلام القائد الفارسي الهرمزان، وخلاصة ذلك: أنه أتى عمر بن الخطاب بالهرمزان بعد أسره، فجعل عمر يحاوره، فطلب الهرمزان الأمان من عمر بن الخطاب حتى يشرب كأس ماء طلبها، فأعطاه عمر الأمان حتى يشربها، فألقاها الهرمزان فلم يشربها، وحصل على الأمان من عمر بالحيلة والمكر، وكان الترجمان بين عمر بن الخطاب والهرمزان — الذي يتكلم الفارسية — هو المغيرة بن شعبة إلى أن جاء الترجمان، وكان المغيرة يفقه شيئاً من الفارسية، فقال عمر للمغيرة: قل له من أي أرض أنت؟ فقال المغيرة — مترجماً أزكدام أرضي، فقال: مهرجاني، فقال عمر: تكلم بحجتك يا هرمزان، فقال الهرمزان: كلام حي أو ميت؟ قال عمر: بل كلام حي، قال الهرمزان: قد آمنتني، قال عمر: خدعتني، إن للمخدوع في الحرب حكمه، لا والله لا أؤمنك حتى تُسلم، فأيقن أنه القتل أو الإسلام، فأسلم، ففرض له عمر على ألفين، وأنزله المدينة، وقال للمغيرة: ما أراك حاذقاً — أي

(١) الإصابة ٢٨٨٢ ومسند الإمام أحمد ١٨٢/٥ و١٨٦.

بالفارسية — ما أحسنها منكم أحدًا إلا خبًّا، وما خبٌّ إلا دق، وإياكم وإياها، فإنها تنقض الإعراب. وأقبل زيد — هو زيد بن ثابت وكان هو الترجمان — فكلمه، وأخبر عمر بقول الهرمزان، والهرمزان بقول عمر^(١).

من هذا النص الذي ساقه الطبري نرى أن زيد بن ثابت كان يتقن الفارسية أيضاً، وأنه كان الترجمان الرسمي بين عمر بن الخطاب وبين من يتكلم هذه اللغة، ولعله لهذا السبب ولغيره من الأسباب الأخرى كان عمر بن الخطاب يحتفظ بزيد بن ثابت بجانبه في المدينة المنورة ولا يبعده عنه — والله أعلم.

(د) القرآن الكريم :

لا جدال في أن زيد بن ثابت رضي الله عنه كان من كتّاب الوحي، وأنه أحد الذين جمعوا القرآن كله — دون أن يفوتهم منه شيء — في عهد رسول الله ﷺ يقول أنس بن مالك: جمع القرآن على عهد رسول الله أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد^(٢).

وقال الشعبي: جمع القرآن على عهد رسول الله ستة نفر: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبوالدرداء، وزيد بن ثابت، وسعد بن عبد، وأبو زيد، وكان مُجمّع بن جارية قد جمع القرآن إلا سورتين أو ثلاثاً، وكان ابن مسعود قد أخذ بضعا وتسعين سورة، وتعلم بقية القرآن من مُجمّع^(٣). وكان زيد قد جمع إلى جمع القرآن الكريم حفظه، ففاق بذلك الأقران، وعُرف بينهم بذلك حتى كان الخليفةان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان يقدمانه في القرآن على غيره، قال سليمان بن يسار: ما كان عمر ولا عثمان يقدمان على زيد أحداً في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة^(٤)، وذاع ذلك بين أهل المدينة وعرف

(١) تاريخ الطبري ٨٨/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٣١/٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٥٥/٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٣٥٩/٢.

بينهم، حتى قال قُبَيْصَةُ بن ذُوَيْبٍ كان زيد رأساً في المدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض^(١)، وعرفت الأجيال اللاحقة هذا التقديم لزيد، فأقروه ولم يعترضوا عليه، حتى قال الشعبي : غلب زيد بن ثابت الناس على اثنتين : الفرائض والقرآن^(٢).

(هـ) الحديث النبوي الشريف :

لم يكن الكثير من الصحابة بعامة من الذين يكثر من رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا يرون الإنصراف إلى القرآن أولى، بخاصة أن القرآن لم يكن مجموعاً ولا منشوراً في العهد الأول، ولذلك انصرفت جهودهم إليه، وأحبوا من الناس أن تنصرف جهودهم إليه، ويظهر هذا الاتجاه واضحاً في مسلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما خطر له أن يجمع سنة الرسول ﷺ، فطفق يستخير الله تعالى شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوها عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً^(٣) وعندما شيع رضي الله عنه جماعة من الصحابة يقصدون الكوفة، حيث قال لهم: إنكم تأتون أهل قرية — يعني: الكوفة — لهم دوتي بالقرآن كدوتي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ^(٤) ولعل مراده التثبت في رواية الحديث.

ولذلك لا نستغرب إن وجدنا كبار الصحابة وأقدمهم إسلاماً كانوا من المقلين في التحديث عن رسول الله ﷺ، ولعل زيد بن ثابت من هؤلاء المقلين،

(١) الإصابة برقم ٢٨٨٢.

(٢) تهذيب التهذيب ٣/٣٩٩ والاستيعاب ١/١٨٩ وسير أعلام النبلاء ٢/٤٣٢.

(٣) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة، علم، والمراجع التي أشرنا إليها: مصنف عبدالرزاق ١١/٢٥٧ وجامع بيان العلم ١/٧٦ وطبقات ابن سعد ٣/٢٨٧.

(٤) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب مادة، علم، والمراجع التي أشرنا إليها: طبقات ابن سعد ٦/٧ وجامع بيان العلم ١/٧٦ و٢/١٢٠.

فلم يرو له عن رسول الله ﷺ سوى اثنين وتسعين حديثاً، إتفق البخاري ومسلم على خمسة منها، وانفرد البخاري بأربعة منها، وانفرد مسلم بحديث واحد^(١).

ولكن زيد بن ثابت رضي الله عنه كان دقيقاً في روايته للحديث عن رسول الله ﷺ، ومن هذه الدقة نقله مقروناً بالظرف الذي قيل فيه الحديث، بخاصة إن كان لهذا الظرف تأثير في الحكم، نذكر من ذلك على سبيل المثال ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن قبيصة بن ذؤيب : أخبرت عائشة آل الزبير أن الرسول ﷺ صلى عندها ركعتين بعد العصر فكانوا يصلونها، قال قبيصة : فقال زيد بن ثابت : يغفر الله لعائشة نحن أعلم برسول الله من عائشة، إنما كان ذلك لأن ناساً من الأعراب أتوا رسول الله بهجير، فقعدوا يسألونه ويُفتيهم حتى صلى العصر، فأنصرف إلى بيته، فذكر أنه لم يصل بعد الظهر شيئاً، فصلاهما بعد العصر^(٢).

وسمع زيد بن ثابت أن رافع بن خديج يحدث عن رسول الله بالنهي عن تأجير المزارع، فقال زيد: أنا والله أعلم بالحديث منه، إنما أتاه رجلان من الأنصار قد اقتتلا، فقال رسول الله (إن كان هذا شأنكم فلا تكروا المزارع) فسمع رافع بن خديج آخر الحديث «لا تكروا المزارع»^(٣). وفي رواية عبد الرزاق: قال زيد بن ثابت: يغفر الله لرافع بن خديج، والله ما كان هذا الحديث هكذا، إنما كان لذلك الرجل أكرى لرجل أرضاً، فاقتتلا واستبا بأمر تدارع فيه، فقال رسول الله ﷺ : «إن كان هذا شأنكم فلا تكروا الأرض» فسمع رافع آخر الحديث، ولم يسمع أوله^(٤). وكان زيد بن ثابت يكره كتابة الحديث، وكان يرى أن نهى الرسول عن كتابة الحديث كان عاماً

(١) عنوان النجاة ص ٩٩.

(٢) مسند الإمام أحمد ١٨٥/٥.

(٣) أبوداود في البيوع باب المزارعة، والنسائي في المزارعة باب النهي عن كراء الأرض ومسند الإمام أحمد ١٨٧/٥ وشرح الزرقاني ٣٧٦/٣ والمغني ٣٨٥/٥.

(٤) عبد الرزاق ٩٧/٨.

وليس مخصوصاً بزمان دون زمن، فقد دخل مرة على معاوية بن أبي سفيان فحدثه حديثاً، فأمر معاوية إنساناً أن يكتب، فقال زيد: إن رسول الله نهى أن نكتب شيئاً من حديثه، فمحا معاوية^(١).

(و) القيافة :

كان زيد بن ثابت بذكائه الوقاد ودقة ملاحظته يجيد القيافة، ويعرف أن هذا ابن فلان أو فلانة، وذلك ابن فلان أو فلانة، بالنظر إلى هيئته العامة، فقد روى أنس بن سيرين قال: دخل علينا زيد بن ثابت، ونحن ستة إخوة، فيهم محمد بن سيرين، فقال: إن شئتم أخبرتكم من أخو كل واحدٍ لأُمِّه، هذا وهذا لأُمِّ، وهذا وهذا لأُمِّ، وهذا وهذا لأُمِّ، فما أخطأ شيئاً^(٢).

(ز) الفقه والفرائض :

(١) أحد الفقهاء الستة :

كان زيد بن ثابت من فقهاء الصحابة رضوان الله عليهم، بل كان أحد ستة انتهى إليهم علم الفقه من الصحابة وقاموا بعمل الفتوى، وإذا كان الاختلاف قد وقع في تسمية هؤلاء الستة الذين آلت إليهم الفتوى، إلا أنه لم يقع الاختلاف في تسمية زيد بن ثابت رضي الله عنه واحداً من هؤلاء الستة المفتين.

فالمسور بن مخرمة يعد هؤلاء الستة : عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت^(٣). بينما يعد مسروق بن الأجدع هؤلاء الستة: عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأبا موسى الأشعري^(٤)،

(١) مسند الإمام أحمد ١٨٢/٥.

(٢) طبقات ابن سعد ١٩٣/٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٥٠/٢ و ٣٥١.

(٤) الاصابة برقم ٢٨٨٢ وسير أعلام النبلاء ٤٣٣/٢ وتهذيب التهذيب ٣٩٩/٣.

وبذلك نرى زيد بن ثابت لم يُعْفَل إيراد اسمه بين المفتين من الصحابة أحد يعتد به.

وما جمعناه من فقه زيد بن ثابت رضي الله عنه يشهد على فقهه.

(٢) اتقانه الفرائض مع الفقه :

ولما كان كثير من الفقهاء من يتقن الأحكام ولا يتقن المواريث — أعني : الفرائض — أو يتقن المواريث ولا يُتقن الأحكام كما قال المغيرة بن مقسم: لما مات إبراهيم النخعي رأينا أن يخلفه الأعمش، فأتيناه فسألناه عن الحلال والحرام فإذا لا شيء، فسألناه عن الفرائض فإذا هي عنده، ثم أتينا حماداً فسألناه عن الفرائض فإذا لا شيء، فسألناه عن الحلال والحرام فإذا هو صاحبه، قال: فأخذنا الفرائض عن الأعمش، وأخذنا الحلال والحرام عن حماد عن إبراهيم^(١).

أقول: لما كان الأمر كذلك إقتضى التنويه إلى أن زيد بن ثابت كان يتقن الفرائض إتقاناً تاماً إلى جانب اتقانه الحلال والحرام، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالتفوق في الفرائض والمواريث حيث قال عليه الصلاة والسلام «أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأشدهم حياءً عثمان، وأفضاهم علي، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت»^(٢).

وقد عرف الناس ذلك في زيد بن ثابت، حتى قال قبيصة بن ذؤيب: كان زيد بن ثابت رأساً في المدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض^(٣). وقال الشعبي: غلب زيد الناس على اثنتين: الفرائض والقرآن^(٤)، وقال سليمان بن

(١) طبقات ابن سعد ٦/٣٣٢.

(٢) الترمذي في مناقب أهل البيت، والنسائي برقم ٣٧٩٣ وانظر: طبقات ابن سعد ٢/٣٥٩.

(٣) الإصابة ٢٨٨٢.

(٤) تهذيب التهذيب ٣/٣٩٩ والاستيعاب ١/١٨٩ وسير أعلام النبلاء ٢/٤٣٢.

يسار: ما كان عمر ولا عثمان يقدّمان أحداً على زيد بن ثابت في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة^(١).

(٣) إتقانه القضاء مع الفقه :

ومن الفقهاء من يتقن الأحكام النظرية، ولا يتقن تطبيق هذه الأحكام في الواقع العملي، أما زيد بن ثابت فقد كان يتقن الأحكام ويتقن تطبيقها على الحوادث، والنصوص المتقدمة التي ذكرناها تنوّه بذلك عندما ذكرت إتقانه للقضاء، حتى قال الشعبي رحمه الله تعالى القضاء أربعة: عمر وعلي وزيد وابن مسعود^(٢)، وكان الشعبي يرى أنه لم يرق أحدٌ رقي هؤلاء الأربعة في القضاء.

(٤) عمل أهل المدينة بقوله :

لقد تألق نجمُ زيد بن ثابت في المدينة، وعمل بفتاواه أهلها، وأصبحوا يرون رأيه هو الرأي، وما عداه هو دونه، بل صاروا لا يتورّعون عن التشنيع بمن يرد رأيه، فقد روى سليمان بن يسار أن زيد بن ثابت كان يقول: إذا طلق الرجل زوجته واحدة أو اثنتين فرأت أول قطرة من حيضتها الثالثة فلا رجعة له عليها، فرددت ذلك من قوله، فشتّعني أهل المدينة فقالوا: هذا يردّ على زيد ابن ثابت، فسألت علماء أهل المدينة رجلاً رجلاً فأثبتوا أن عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء كانوا يجعلون له الرجعة عليها حتى تغتسل من الحيضة الثالثة^(٣).

من ذلك نرى أنه رغم وجود اجتهاد آخر من صحابةٍ أجلاء كعمر ومعاذ وأبي الدرداء يخالف اجتهاد زيد بن ثابت في هذه المسألة، فإن أهل المدينة لم يقبلوا بقولهم بديلاً عن قول زيد وعملهم بقوله وهذه مرتبة من الثقة بعلم زيد لا تُبلغ يُيسر ولا سهولة.

(١) طبقات ابن سعد ٣٥٩/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٣٤/٢.

(٣) مصنف عبدالرزاق ٣١٩/٦.

(٥) سؤال الخلفاء إياه وعملهم بقوله :

كان زيد بن ثابت مستشاراً فقهياً لجميع الخلفاء بدءاً من أبي بكر الصديق وإنهاءً بمروان بن الحكم — أمير المدينة المنورة — وإن هذا الإجماع على استشارته يدل على أن زيداً كان له من التفكير الفقهي المحكم، والمحكمة الصادقة، والرأي الناضج، ما أهله للاحتفاظ بهذه المكانة عند جميع الخلفاء الذين عاصروهم.

لقد كان أبوبكر لا يتوانى عن استشارة زيد، واستدعائه ليكون بين أهل الشورى. فقد روى عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه أن أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه، ودعا رجلاً من المهاجرين والأنصار، دعا عمر، وعثمان، وعلياً، وعبدالرحمن بن عوف، ومعاذ ابن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وكل هؤلاء كان يفتى في خلافة أبي بكر^(١).

وكان عمر بن الخطاب إذا حزبه أمر يدعو أهل الشورى الذين كان يدعوهم أبوبكر الصديق، وفيهم زيد بن ثابت^(٢) وكان يستشيرهم ويسأله في مسائل، منها أنه استشاره واستشار علي بن أبي طالب في انتهاء العدة بالوضع، فقال زيد: قد حلت، وقال علي: أربعة أشهر وعشراً — فقال زيد لعلي: أرأيت إن كانت يائساً؟ قال علي: فأخر الأجلين، فقال عمر: لو وضعت ذا بطنها وزوجها على نعشه لم يدخل حفرة لكانت قد حلت^(٣)، أي أن عمر قد رجح الأخذ بقول زيد بن ثابت. وهذا ما جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحتفظ بزيد بن ثابت مع من يحتفظ بهم في المدينة المنورة من أهل شوره، ويضن بإرسالهم إلى الآفاق، فقد جاء في طبقات ابن سعد: أن عمر كان يفرق الناس في البلدان، ويوجههم في الأمور المهمة، ويطلب إليه الرجال المسمون، فيقال

(١) طبقات ابن سعد ٢/٣٥٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/٣٥٠.

(٣) ابن أبي شيبة ١/٢٢٣.

له: زيد بن ثابت، فيقول: لم يسقط على مكان زيد، ولكن أهل البلد يحتاجون إلى زيد فيما يجدون عنده مما يحدث لهم ما لا يجدون عند غيره^(١).

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يسأل زيد بن ثابت عن الحكم الشرعي فيما يعرض له من الوقائع، فقد طلق حبان بن منقذ امرأته وهي ترضع ابناً له، فمكثت سبعة أشهر أو ثمانية أشهر لا تحيض، فقيل له: إن مت ورثتك، فقال: احملوني إلى عثمان، فحملوه فأرسل إلى عليّ وزيد بن ثابت فسألهما؟ فقالا: نرى أن ترثه، قال: ولم؟ قالوا: لأنها ليست من اللائي يئسن من الحيض، ولا من اللائي لم يحضن، وإنما منعها من الحيض الرضاع، فأخذ الرجل ابنه منها، فلما فقدته حاضت حيضة، ثم حاضت في الشهر الثاني حيضة أخرى، ثم مات قبل أن تحيض الثالثة، فورثته^(٢).

وكان معاوية بن أبي سفيان يسأل زيد بن ثابت فيما يعرض له من الحوادث، ومن ذلك أن الأحوص طلق امرأته، ثم مات بالشام حين دخلت امرأته في الحيضة الثالثة، فكتب معاوية بن أبي سفيان إلى زيد بذلك، فكتب إليه زيد: إذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد بانت، فلا رجعة ولا ميراث^(٣).

وسأله عن ميراث الجدّ، فكتب إليه زيد بن ثابت رضي الله عنه: إنك كتبت إلّي تسألني عن الجد، والله أعلم، وذلك مما لم يكن يقضي فيه إلا الأمراء — يعني الخلفاء — وقد حضرتُ الخلفتين قبلك — يريد: عمر وعثمان — يعطيانه مع الأخ الواحد النصف، ومع الاثنين الثلث فإن كثرت الاخوة لم ينقصوه عن الثلث^(٤).

وكان مروان بن الحكم قبل توليه الخلافة — لأن زيداً توفي ومروان أمير

(١) طبقات ابن سعد ٣٦٠/٢.

(٢) ابن أبي شيبة ٢٥٣/١ والمحلي ٢٢٥/١٠ و٢٦٩ وعبدالرزاق ٣٤٠/٦ والمغني ٤٦٥/٧.

(٣) ابن أبي شيبة ٢٥٣/١ ب وسنن البيهقي ٤١٥/٧ وتفسير القرطبي ٤٤٤/٢.

(٤) عبدالرزاق ٢٦٧/١٠ والموطأ ٥١٠/٢ والمحلي ٢٨٥/٩ وكشف الغمة ٣٩/٢.

المدينة المنورة — يسأل زيد بن ثابت فيما يعرض له من الحوادث، ومن ذلك: أنه حدث أن تزوج الحارث بن الحكم امرأة، فقال عندها فرآها خضراء — أي سمراء — فطلقها ولم يمسه، فأرسل مروان بن الحكم إلى زيد بن ثابت فسأله؟ فقال زيد: لها الصداق كاملاً، فقال مروان: إنه لا يُتَّهَم، قال زيد: رأيته يا مروان لو كانت حُبلى أكنْتُ مقيماً عليها الحد؟ قال: لا، قال: فلا إذن^(١).

وروى ثوبان قال: رمى البحر بسمكٍ كثيرٍ ميتاً، فأتينا أبا هريرة فاستفتيناه، فأمرنا بأكله، فرغبنا عن فتيا أبي هريرة، فأتينا مروان، فأرسل إلى زيد بن ثابت يسأله؟ فقال: حلال، كلوه^(٢).

وسأله عن تسري الرجل بمطلقة الأمة في حادثة وقعت في عصره، فقد تزوج رجل أمة كانت لكثير بن الصلت، فطلقها البتة، ثم ابتاع الجارية من كثير، فقال له كثير: لا تعجل حتى أرجع إليك، فأتى مروان بن الحكم يذكر ذلك له، فقال له مروان: إنطلق إلى زيد بن ثابت فسأله عن ذلك، فانطلق إلى زيد بن ثابت، فسأله، فقال: لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره. فانطلق كثير إلى الرجل فأخبره. فقال الرجل: إشهدوا أنني أعتقتها وتزوجتها، وأصدقها كذا وكذا، فقال كثير: لا تعجل حتى أرجع إليك. فأتى زيد بن ثابت، فذكر ذلك له، فقال: لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره^(٣).

وكان عبد الملك بن مروان لا يعدل بقول زيد بن ثابت قولاً غيره، ويعتبر زيد بن ثابت نعم المشير على عثمان بن عفان، ولما كان عبد الملك يعرف حب أهل المدينة لزيد بن ثابت، وأخذهم بقوله، فإنه كان يستغل هذا الحب وهذا

(١) عبدالرزاق ٢٨٦/٦ وابن أبي شيبة ٢١٧/١ وسنن البيهقي ٢٥٦/٧ والمخلى ٤٨٣/٩.

(٢) عبدالرزاق ٥٠٦/٤ وسنن البيهقي ٢٥٤/٩ والموطأ ٤٩٥/٢ وشرح السنة ٢٤٩/١١ وكشف الغمة ٢٤٠/١.

(٣) سنن سعيد بن منصور ٣٤٧/١/٣ و٣٤٨ وعبدالرزاق ٢٤٥/٧ والمخلى ١٨٠/١٠ وشرح السنة ٢٣٤/٩ وسنن البيهقي ٣٧٦/٧ والموطأ ٥٣٧/٢ وكشف الغمة ٦٣/٢.

الالتزام ليطلب منهم الأخذ بما جاء عن عثمان بن عفان باعتبار أن زيد بن ثابت قد أشار به عليه، فقد قال عبد الملك لأهل المدينة مرة: يا أهل المدينة، إن أحق الناس أن يلزم الأمر الأول لأنتم، وقد سالت علينا أحاديث من قبل هذا المشرق — يعني: العراق — لا نعرفها، ولا نعرف إلا قراءة القرآن، فالزموا ما في مصحفكم الذي جمعكم عليه الإمام المظلوم — عثمان — وعليكم بالفرائض التي جمعكم عليها إمامكم المظلوم، فإنه قد استشار في ذلك زيد ابن ثابت، ونعم المشير كان للإسلام، فأحكموا ما أحكمنا، وأسقطوا ما شذَّ عنهما^(١).

(٦) شواذه :

إننا لو تأملنا فيما جمعناه من فقه زيد بن ثابت لا نجد فيه قولاً شاذاً متروكاً لا يُعمل به، بل كل اجتهاداته وفتاواه أخذ بها أقوام وعملوا بها، وهذه ملاحظة وإن كنا لاحظناها اليوم في فقه زيد بن ثابت رضي الله عنه، إلا أنه قد سبقنا إليها تلميذه وحامل فقهه الإمام سعيد بن المسيب رحمه الله. فقد قال رحمه الله تعالى «لا أعلم لزيد قولاً لا يُعمل به، مجمع عليه في الشرق أو الغرب، أو يعمل به أهل مصر، وإنه ليأتينا عن غيره أحاديث وعلم ما رأيت أحداً من الناس يعمل بها، ولا من هو بين ظهرانيتهم»^(٢).

(٧) إمتناعه عن الفتوى فيما لم يقع :

لقد كان لتحذير الرسول ﷺ من الاجترار على الفتوى أثر كبير في نفوس فقهاء السلف رضوان الله عليهم، لأن الخطأ في الفتوى قد يكون بداية إنحراف عن دين الله تعالى، ولذلك كان الواحد منهم يدفع الفتوى عن نفسه ما استطاع، ويودّ لو أنه لا يفتي أبداً، ولكن الفتوى أمر لا مناص منه للعلماء الفقهاء، ولذلك فإنهم كانوا يضيقون دائرتها ما استطاعوا، ومن أساليب تضيق

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٣٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/٣٦٠.

دائرة الفتوى : الامتناع عن الفتوى فيما لم يقع من الحوادث.

وقد كان شأن زيد بن ثابت رضي الله عنه شأن غيره من فقهاء السلف في ذلك، قال الزهري: بلغني أن زيد بن ثابت كان يقول إذا سئل عن الأمر: أكان هذا؟ فإن قالوا نعم، حدث فيه بالذي يعلم، وإن قالوا لم يكن، قال: فذروه حتى يكون^(١)، بل وكان أحياناً يحلف السائل أن مسأله واقعة — إمعاناً في دفع الفتوى — فإذا حلف أفتاه بما يعلم، فقد حدث موسى بن علي قال: سمعت أبي قال: إنه كان الرجل ليأتي زيد بن ثابت فيسأله عن الشيء فيقول: الله أنزل هذا؟ فإن قال: الله أنزل هذا، أفتاه، وإن لم يحلف تركه^(٢).

(٨) منعه من كتابة فتاواه :

وكان علماء السلف على وجه العموم يكرهون أن تكتب فتاواهم وقد أثر ذلك عن كثير منهم، وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه أحد أولئك الذين يكرهون أن تكتب فتاواهم. فقد روى ابن سعد أن مروان بن الحكم أجلس لزيد بن ثابت رجلاً وراء الستر، ثم دعاه — أي دعا زيد بن ثابت — فجلس يسأله ويكتبون، فنظر إليهم زيد فقال: يا مروان عُذراً، إنما أقول برأيي^(٣).

(٩) تأثره بفقهاء عمر بن الخطاب :

من استقرار فقه الصحابة ودراسته دراسة دقيقة يظهر لنا أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا على مدارس فقهية متعددة، فكان عمر بن الخطاب أستاذاً لمدرسة الرأي، وكان من أكبر أعضاء هذه المدرسة عبدالله بن مسعود^(٤) وزيد بن ثابت، وكان علي بن أبي طالب أستاذاً لمدرسة أخرى للرأي، وكان من أكبر أعضاء هذه المدرسة أبي بن كعب، وأبو موسى

(١) سير أعلام النبلاء ٤٣٨/٢.

(٢) صفة الصفوة ٧٠٦/١.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٦١/٢.

(٤) انظر مقدمة كتابنا «موسوعة فقه عبدالله بن مسعود».

الأشعري، وعبدالله بن عباس^(١) حتى قال الشعبي ونحوه عن مسروق: علماء هذه الأمة بعد نبيها ستة، عمر وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت، فإذا قال عمر قولاً، وقال هذان قولاً كان قولهما لقوله تبعاً؛ وعلي وأبي بن كعب وأبوموسى الأشعري، فإذا قال علي قولاً، وقال هذان قولاً كان قولهما لقوله تبعاً^(٢).

ونحن مع اعترافنا بتأثير زيد بن ثابت بعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، إلا أننا لا نتفق مع الشعبي ومسروق في قولهما أن قول زيد لقول عمر تبع، بل إننا لنؤكد استقلال زيد بالاجتهاد والفكر.

ولقد استقرأنا ما جمعناه من فقه زيد بن ثابت في كتابنا «موسوعة فقه زيد بن ثابت» وقارناه مع ما جمعناه من فقه عمر بن الخطاب في كتابنا «موسوعة فقه عمر بن الخطاب» فوجدنا أن زيد بن ثابت كثيراً ما يختلف في الأحكام مع عمر بن الخطاب، ومما أحصيناه في ذلك ما يلي :

— كان زيد بن ثابت لا يورث ذوي الأرحام^(٣)، بينما كان عمر بن الخطاب يورثهم^(٤).

— وكان زيد بن ثابت لا يورث مولى المولاة^(٥) وكان عمر بن الخطاب يورثه، ويورث بالولاء باليد، وبالنصرة، وبالجوار^(٦).

— وكان زيد بن ثابت يورث الزانية والملاعنة من ولدها فرضها، ولا يجعل عصبتها عصبته، بل يضع الباقي في بيت المال^(٧)، وكان عمر بن الخطاب يجعل

(١) انظر مقدمة كتابنا «موسوعة فقه عبدالله بن عباس».

(٢) طبقات ابن سعد ٣٥١/٢.

(٣) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (ارث/٢ أ ١) و (ارث/١٨).

(٤) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (ارث/١٣).

(٥) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (ارث/٢ ج).

(٦) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (ارث/٧).

(٧) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (ارث/١٧).

عصبة الأم الزانية والملاعنة عصبة لابنها من الزنا والملاعن عليه ويجعل لهم الباقي بعد أخذ ذوي الفروض فرائضهم^(١).

— وكان زيد بن ثابت لا يأخذ بالردّ على أصحاب الفروض^(٢)، وكان عمر بن الخطاب يرد عليهم^(٣).

— وكان زيد بن ثابت لا يشترط الإستهلال لثبوت حياة المولود^(٤)، وكان عمر لا يُثبت حياة المولود إلا باستهلاله^(٥).

— وكان زيد بن ثابت يرى أن المولى منها تبين بمضي أربعة أشهر على الإيلاء منها^(٦)، وكان عمر يرى أنها لا تبين بمضي المدة، ولكن يوقف المولى، فإما أن يفيء أو إما أن يطلق^(٧).

— وكان زيد بن ثابت يرى أن تكبير التشريق يبدأ من ظهر يوم النحر إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق^(٨)، وكان عمر بن الخطاب يرى أنه يبدأ من بعد صلاة الفجر من يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق^(٩).
— وكان زيد بن ثابت يرى أن دية القتل الخطأ مائة من الإبل توزع أسنانها كما يلي: ثلاثون حقة، وثلاثون جذعة، وعشرون ابن لبون، وعشرون بنت مخاض.

وفي رواية ثانية: ثلاثون حقة، وثلاثون بنت لبون، وعشرون ابن لبون، وعشرون بنت مخاض.

وفي رواية ثالثة: ثلاثون جذعة، وثلاثون بنت لبون، وعشرون ابن لبون،

-
- (١) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (ارث/٥).
 - (٢) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (ارث/١٩).
 - (٣) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (ارث/١٠).
 - (٤) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (استهلال).
 - (٥) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (اجهاض/٤).
 - (٦) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (ايلاء).
 - (٧) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (إيلاء/٢ أ).
 - (٨) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (تكبير/٢).
 - (٩) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (تكبير/٢ أ).

وعشرون بنت مخاض^(١) بينما يرى عمر بن الخطاب أن المئة موزعة كمايلي:
عشرون حقة، وعشرون جذعة، وعشرون بنت لبون، وعشرون ابن لبون،
وعشرون بنت مخاض^(٢).

— وكان زيد بن ثابت يرى في الجرح السمحاق أربعة أبعرة^(٣)، بينما يرى
عمر بن الخطاب أن فيها نصف ما في الجرح الموضحة، وكان يرى في الموضحة
خمساً من الإبل^(٤).

— وكان زيد بن ثابت يرى أن القُرء المذكور في الآية الكريمة في سورة
البقرة (٢٢٨) ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ هو الطهر، وبناء
على ذلك فإن عدة المطلقة تنتهي بابتداء الحيضة الثالثة^(٥) وأن للزوج الذي
طلق زوجته طلاقاً رجعياً أن يعيدها إلى عصمة الزوجية ما لم تدخل في الحيضة
الثالثة، فإذا بدأت الحيضة الثالثة فقد بانت منه^(٦).

بينما يرى عمر بن الخطاب أن القُرء المذكور في الآية المتقدمة هو الطهر،
وبناء على ذلك فإن عدة المطلقة تنتهي بدخولها في الطهر بعد انتهاء الحيضة
الثالثة، وذلك باغتسالها منها^(٧) وأن للزوج الذي طلق زوجته طلاقاً رجعياً أن
يعيدها إلى عصمة الزوجية ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة، وإذا اغتسلت من
الحيضة الثالثة فقد بانت ولا رجعة له عليها^(٨).

— وكان زيد بن ثابت يرى أن الرجل إن قال لزوجته في الطلاق أنت
حَلِيَّةٌ، أو أنت بَرِيَّةٌ، أو أنت بَتَّةٌ، أو أنت بَائِنٌ، ونحوها من الكنايات الظاهرة

(١) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (جناية/٣١٣).

(٢) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (جناية/٥ ب ٣ أ).

(٣) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (جناية/٣ج).

(٤) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة: جناية (٥ ب ٤هـ).

(٥) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (عدة/٢ج ١).

(٦) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (رجعة/٢).

(٧) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (عدة/٢ ب ١).

(٨) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (رجعة/٤).

في الطلاق فإن الطلاق يقع بها ثلاثاً^(١)، بينما يرى عمر بن الخطاب أن الطلاق لا يقع بهذه الكنايات إلا واحدة بائة^(٢).

— وكان زيد بن ثابت لا يفرق في إباحة العزل في الوطء بين الحرة والأمة^(٣)، بينما كره عمر بن الخطاب العزل عن الحرة وأباحه عن الأمة^(٤).

— وكان زيد بن ثابت يرى أنه يجوز لمن تبع الجنازة أن ينصرف منها بعد الصلاة عليها من غير استئذان أهلها بالإنصراف^(٥)، بينما يرى عمر بن الخطاب أنه لا يجوز له الإنصراف منها حتى يستأذن أهلها بالإنصراف^(٦).

— وكان زيد بن ثابت يرى أن نفقة الشخص الذي لا يقدر أن ينفق على نفسه واجبة على ورثته بقدر ميراثهم منه رجالاً ونساء^(٧)، بينما يرى عمر ابن الخطاب أن نفقته واجبة على عصبته موزعة عليهم على رؤوسهم بقطع النظر عن مقدار استحقاقهم من الميراث^(٨).

— وكان زيد بن ثابت يرى أن أكل شيء من لحم الجزور، أو أكل شيء مما مسته النار ينقض الوضوء^(٩)، بينما يرى عمر بن الخطاب أن الوضوء لا ينقضه أكل شيء من ذلك^(١٠).

(١٠) حامل فقه زيد بن ثابت :

الذين وردوا منهل زيد بن ثابت واغترفوا منه كثير، ولكن الذي حظي بقسط أوفى هو الإمام الجليل سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى^(١١) حتى انه

(١) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (طلاق/٤) ب.

(٢) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (طلاق/٧) ب.

(٣) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (عزل/٢).

(٤) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (عزل/٢) أ ب.

(٥) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (موت/٣).

(٦) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (موت/١١).

(٧) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (نفقة/٢).

(٨) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (نفقة/٢).

(٩) ر: موسوعة فقه زيد بن ثابت، مادة (وضوء/٢).

(١٠) ر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة (وضوء/٨ ب ج).

(١١) طبقات ابن سعد ٢/٣٨٠.

ليڪاد لا يفارق قوله إلا قليلاً، قال بكير بن الأشج: كل ما أخذ به سعيد بن المسيب من القضاء، وما كان يفتي به عن زيد بن ثابت، وكان كل قضاء أو فتوى جليلة ترد عليه تحكى له عن بعض من هو غائب عن المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم إلا قال: فأين زيد بن ثابت من هذا؟ إن زيد بن ثابت أعلم الناس بما تقدم من قضاء، وأبصرهم بما يرد عليه مما لم يسمع فيه بشيء^(١). ثم تركز أكثر فقه زيد بن ثابت في مذهب الإمام مالك رحمه الله. والإمام مالك هو الذي يقول: إمام الناس عندنا زيد بن ثابت وبعده عبدالله ابن عمر — كما سيأتي بعد قليل — .

(ح) الحساب :

كان زيد بن ثابت بارعاً بالحساب، وهذا أمر وإن لم يذكره به أحد، إلا أن الأعمال التي أسندت إليه والتي تحتاج إلى براعة في الحساب تدل على ذلك، من ذلك تفوقه في علم الفرائض — المواريث — وهو علم يستند على الحساب، وإسناد رسول الله ﷺ قسمة الغنائم إليه أكثر من مرة، ومساعدته عمر بن الخطاب في تدوين الدواوين، وقيامه بأمانة بيت مال المسلمين في عهد عثمان، كما سيأتي الكلام على ذلك بعد قليل.

(ط) ثناء العلماء عليه :

لن نطيل في ذكر أقوال العلماء في الثناء على علم زيد بن ثابت رضي الله عنه بعد أن أثنى عليه الرسول ﷺ بقوله (أفرض أمتي زيد بن ثابت)^(٢). وسأكتفي بذكر أربعة أقوال لأربعة من قمم العلم في الإسلام.

الأول: أن عبدالله بن عباس أخذ لزيد بن ثابت بالركاب ليركب. فقال له زيد: تنح يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا^(٣).

(١) طبقات ابن سعد ٢/٣٦٠.

(٢) أخرجه الترمذي في مناقب أهل البيت.

(٣) الاصابة برقم ٢٨٨٢ وصفة الصفوة ١/٧٠٦ وطبقات ابن سعد ٢/٣٦٠.

والثاني: أن أبا هريرة لما مات زيد بن ثابت قال: مات اليوم حبر الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خَلَفًا^(١).

والثالث: أن سعيد بن المسيب قال: إن زيد بن ثابت أعلم الناس بما تقدم من قضاء، وأبصرهم بما ورد عليه مما لم يُسمع فيه شيء... لا أعلم لزيد قولاً لا يُعمل به، مجمع عليه في الشرق والغرب، أو يعمل به أهل مصر، وإنه ليأتينا عن غيره أحاديث وعلم ما رأيت أحداً من الناس يعمل بها ولا من هو بين ظهرانيهم^(٢).

والرابع: أن الإمام مالكاً قال: إمام الناس عندنا بعد عمر بن الخطاب زيد ابن ثابت، وكان إمام الناس بعده عندنا عبدالله بن عمر^(٣)، ولولا خوف الإطالة لعقدنا مقارنة بين فقه زيد بن ثابت رضي الله عنه، وفقه الإمام مالك لنرى مدى أخذ الإمام مالك بفقه زيد.

٧ - سيرته مع الرسول ﷺ والخلفاء : (أ) زيد مع الرسول ﷺ :

(١) قلنا إن زيد بن ثابت رضي الله عنه كان يجيد القراءة والكتابة عندما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة من مكة، وأن رسول الله قد أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة أو لغات أخرى غير العربية، كان رسول الله يحتاج إليها في مراسلاته كرئيس دولة، فتعلمها زيد، ولذلك فقد اتخذ الرسول كاتباً له، يكتب الوحي النازل من السماء، ويكتب له كتبه إلى القوم وإلى ملوك الأرض^(٤)، وأراد رسول الله أن يحسن مستوى زيد بالكتابة فجعله في عداد الذين نالهم تعليم من لا يملك فداء من أسرى بدر^(٥).

(١) تهذيب التهذيب ٣/٣٩٩ وصفة الصفوة ١/٧٠٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/٣٦٠.

(٣) الاستيعاب ١/١٨٩.

(٤) تاريخ الطبري ٦/١٧٩.

(٥) طبقات ابن سعد ٢/٢٢.

ولازم زيد رسول الله ككاتب له، لا يفارقه، وكثيراً ما يكون إلى جنبه، قال زيد: كنت إلى جنب رسول الله ﷺ، فغشيت السكينة، فوقعت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي، فما وجدت ثقل شيء أثقل من فخذ رسول الله، ثم سرى عنه، فقال لي: اكتب، فكتبت في كتف ﷺ لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ﷺ فقام عمرو بن أم مكتوم — وكان رجلاً أعمى — لما سمع فضيلة الجهاد فقال: يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟ فلما قضى كلامه غشيت رسول الله السكينة، فوقعت فخذه على فخذي، ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى، ثم سرى عن رسول الله ﷺ، فقال: اقرأ يا زيد، فقرأت ﷺ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ﷺ فقال رسول الله ﷺ ﷺ غير أولي الضرر ﷺ الآية كلها. قال زيد: أنزلها الله وحدها، فألحقها، والذي نفسي بيده لكأنني انظر إلى ملحقتها عند صدع في كتف^(١). وكان زيد كثيراً ما يجلس عند رسول الله ﷺ يؤلف القرآن من الرقاع عنده^(٢).

(٢) وخص رسول الله زيد بن ثابت بشيء من الرعاية والتوجيه، وعلمه بعض الأدعية ليدعو بها، ويتعاهد به نفسه وأكله كل يوم فقال له: (يا زيد قل كل يوم حين تصبح: لبيك اللهم لبيك وسعديك، والخير في يديك، ومنك وبك وإليك، اللهم ما قلت من قول أو من نذر، أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه، ما شئت كان، وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك، إنك على كل شيء قدير، اللهم ما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعن فعلى من لعنت، إنك أنت ولّيتي في الدنيا والآخرة، توفي مسلماً وألحقني بالصالحين، أسألك اللهم الرضى بعد القضاء، وبرد العيش بعد

(١) البخاري في الجهاد باب لا يستوي القاعدون، والترمذي في التفسير باب ومن سورة النساء، وأبو داود في الجهاد باب الرخصة في العقود، واللفظ له، واللساني في الجهاد باب فضل المجاهدين والإمام أحمد

في السند ١٨٤/٥ وطبقات ابن سعد ٢١١/٥.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل برقم ١٧٢٨.

الممات، ولذة النظر إلى وجهك، وشوقاً إلى لقائك من غير ضراء مُضرة، ولا فتنة مضلة، أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم، أو اعتدي أو يُعتدى عليّ، أو أكسب خطيئة محبطة، أو ذنباً لا يغفر، اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، ذا الجلال والإكرام، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً، أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق، ولقائك حق، والجنة حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنت تبعث من في القبور، وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وأنني لا أثق إلا برحمتك، فاعفر لي ذنبي كله، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم^(١).

(٣) ولما عرف رسول الله ﷺ في زيد إجادة الحساب عهد إليه بإحصاء الناس يوم خير وحساب الغنائم لهم. فأحصاهم ألفاً وأربعمائة، وأحصى الخيل مائتي فرس، وكان السهمان على ثمانية عشر سهماً لكل مائة فرس، وللخيل أربعمائة سهم^(٢).

كما أوكل إليه يوم الجعرانة إحصاء الناس والغنائم — بعد أن أعطى منها عليه الصلاة والسلام ما أعطى — ثم قسم الغنائم على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة، فإن كان فارساً أخذ اثني عشر من الإبل وعشرين ومائة شاة، وإن كان معه أكثر من فرس لم يُسهم له^(٣) — على ما ذكره ابن سعد — .

(١) مسند الإمام أحمد ١٩١/٥.

(٢) طبقات ابن سعد ١٠٧/٢.

(٣) طبقات ابن سعد ١٥٣/٢.

(ب) زيد مع أبي بكر :

لما توفي رسول الله ﷺ، واجتمع كبار الصحابة في السقيفة لاختيار خليفة لرسول الله ﷺ يتولى رئاسة الدولة، ويدبر أمور المسلمين كان من جملة الآراء التي ظهرت في السقيفة أن يقوم بأمر المسلمين خليفتان: أحدهم من المهاجرين والثاني من الأنصار، ولكن زيد بن ثابت بنظره الثاقب أدرك خطورة هذه الفكرة، فعارضها بشدة وقام في الناس خطيباً فقال: إن رسول الله كان من المهاجرين، وإنما الإمام إنما يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ^(١).

ولما ولي أبوبكر الصديق الخلافة اتخذ زيد بن ثابت كاتباً^(٢)، ومشيراً، فكان زيد مع أهل الشورى، يستشار معهم، ويخصه أبوبكر بالشورى فيما يرى فيه المصلحة في استشارته.

واشترك زيد بالقتال مع الجيش السائر لقتال المرتدين، وأصيب في كتفه بسهم ولكنه لم يضره كما تقدم في حديثنا عن جهاده.

ولما كان زيد بن ثابت من كُتَّاب الوحي الذين جمعوا القرآن كله في عهد رسول الله ﷺ فقد عهد إليه أبوبكر بجمع القرآن الكريم فقال: زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، ثم أخذ يجمعه من الرقاع والأكتاف والعصب وصدور الرجال، حتى تم جمع القرآن في مصحف، فسلم هذه الصحف التي جمع القرآن فيها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٣)، وكان هذا أهم ما قام به زيد من أعمال في عهد أبي بكر.

(١) طبقات ابن سعد ٢١٢/٣ وسير أعلام النبلاء ٤٣٣/٢ ومسند الإمام أحمد ١٨٦/٥ ومسند الطيالسي برقم ٦٠٢.

(٢) تاريخ الطبري ١٧٩/٦.

(٣) ر: مسند الإمام أحمد ١٨٨/٥ وصفة الصفوة ٧٠٤/١ وغيرها.

(ج) زيد مع عمر بن الخطاب :

ولما ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، استأثر بزيد بن ثابت بجانبه، فلم يأذن له في مغادرة المدينة المنورة والإقامة في غيرها نظراً لحاجته إليه وعدم استغنائه عنه، فقد ورد في طبقات ابن سعد أن عمر كان يفرّق الناس في البلدان، ويوجههم في الأمور المهمة، ويطلب إليه الرجال المسمون، فيقال له زيد بن ثابت، فيقول: لم يسقط على مكان زيد، ولكن أهل البلد يحتاجون إلى زيد فيما يجدون عنده مما يحدث لهم ما لا يجدون عند غيره^(١)، وعن سالم قال: كنا مع ابن عمر يوم مات زيد، فقلت: مات عالم الناس اليوم، فقال ابن عمر: يرحمه الله، فقد كان عالم الناس في خلافة عمر وحبرها، فرّقهم عمر في البلدان ونهاهم أن يفتوا برأيهم، وحبس زيد بن ثابت بالمدينة يفتى أهلها^(٢).

وقد عمل زيد بن ثابت مستشاراً ضمن مجموعة أهل الشورى، وفي مسائل فردية خصّه عمر بن الخطاب بسؤاله عنها^(٣)، وعمل له قاضياً وفرض له رزقاً^(٤) وعمل له ترجماناً، وقد رأينا أنه تولى ترجمة المحاورة التي تمت بين عمر ابن الخطاب والهرمزان، وكان الهرمزان يتكلم الفارسية ولا يعرف العربية، وعمر بن الخطاب يتكلم العربية ولا يعرف الفارسية^(٥) وعمل له أميراً على المدينة المنورة في فترة غياب عمر عنها، قال في الاستيعاب: وقد استخلف عمر زيد بن ثابت على المدينة ثلاث مرات في الحجّتين وفي خروجه إلى الشام^(٦). والصواب أنه استخلفه أكثر من ذلك، فقد حج عمر في السنة السادسة

(١) طبقات ابن سعد ٣٦٠/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٣٤/٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٥٠/٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٣٥٩/٢ والمنني ٣٧/٩ ودائرة المعارف الإسلامية، ترجمة زيد بن ثابت.

(٥) تاريخ الطبري ٨٨/٤.

(٦) الاستيعاب ١٨٩/١.

عشرة من الهجرة واستخلف على المدينة زيد بن ثابت^(١)، واعتمر في السنة السابعة عشرة في رجب واستخلف على المدينة زيد بن ثابت^(٢)، وحج في السنة الحادية والعشرين واستخلف على المدينة زيد بن ثابت^(٣). فهذه ثلاث مرات، وإذا أضفنا إليها استخلافه حين خروج عمر إلى الشام كانت أربع مرات على الأقل.

والجدير بالذكر أنه — كما يقول ابن حجر في الإصابة — أن عمر كان يستخلف زيد بن ثابت إذا سافر، فقلما رجع إلا أقطعه حديقة من نخل^(٤). وهذا يدل على أن زيد بن ثابت كان يحسن التصرف في غياب عمر، وإلا لما كافأه بحديقة من نخل.

وأوكل إليه عمر بن الخطاب قسمة الغنائم بعد وقعة اليرموك، فقسمها وأحسن قسمتها^(٥)، وأعان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إنشاء الدواوين حين أنشأها فكتب أثباتاً بأسماء من سُجِّلوا في الديوان^(٦). وكان زيد بن ثابت من الكتّاب الرسميين لعمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٧).

(د) زيد مع عثمان بن عفان :

ولما ولي الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه قرّب زيد بن ثابت إليه، وأبقاه على القضاء^(٨)، وولّاه بيت مال المسلمين^(٩) فاتخذ زيد بن ثابت كاتباً له ومساعداً غلامه «وهيباً»^(١٠) فدخل عثمان مرة إلى بيت المال فوجد وهيباً

(١) تاريخ الطبري ٣٩/٤.

(٢) تاريخ الطبري ٦٩/٤.

(٣) تاريخ الطبري ١٤٥/٤.

(٤) الإصابة برقم ٢٨٨٢.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية، مادة: زيد بن ثابت والإصابة برقم ٢٨٨٢.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية، مادة: زيد بن ثابت.

(٧) تاريخ الطبري ١٧٩/٦.

(٨) تاريخ الطبري ٤٢٢ ٤.

(٩) عنوان النجابة ص ٩٩ ودائرة المعارف الإسلامية. مادة: زيد بن ثابت والاستيعاب ١٨٩/١.

(١٠) طبقات ابن سعد ٣٠٤ ٥ والاستيعاب ١٨٩/١.

يُعينهم، فقال عثمان لزيد: من هذا؟ فقال زيد: مملوك لي، فقال عثمان: أراه يُعين المسلمين، وله حق، وإنا نفرض له، وفرض له ألفين، فقال زيد: وأن لا نفرض لعبد ألفين، وفرض له ألفاً^(١).

وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ظهر الاختلاف في قراءة القرآن بين القراء، فأفرع ذلك عثمان، فرأى عثمان أن يردّ القراء إلى حرف واحد، ووقع اختياره على حرف زيد بن ثابت، فأمره أن يملّي المصحف على قوم من قریش هم عبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام — وفي صفة الصفوة أن أبي بن كعب كان يملّي وزيداً هو الذي يكتب — وقال عثمان للرهط: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فأكتبوه بلسان قریش، فإنما نزل بلغتهم^(٢)، وكان هذا العمل هو أهم ما قام به زيد بن ثابت من أعمال في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

لقد أحب زيد بن ثابت عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأخلص له^(٣). ولذلك نراه يوم نزل الثائرون المصريون الذين يريدون الشر بعثمان ذا خشب، وجاء الخبر أنهم يريدون قتل عثمان بن عفان لم يتأخر زيد بن ثابت عن السير إليهم مع علي بن أبي طالب ونفر من الصحابة لإقناعهم بالرجوع^(٤). ولما جاءت الجمعة التي تلت نزول المصريين مسجد رسول الله، خرج عثمان فصلى بالناس، ثم قام على المنبر فخطب، فحُصِبَ حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه، فاحتمل فأدخل داره وشمّر الناس فاستقتلوا وكان زيد بن ثابت من هؤلاء، فبعث إليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا، فانصرفوا^(٥).

ولما حصر عثمان في داره جاء زيد بن ثابت إلى عثمان فقال: هذه الأنصار

(١) الاستيعاب ١٨٩/١.

(٢) ر: الاستيعاب ١٨٩/١ وصفة الصفوة ٧٠٤/١ ومناهل العرفان ٢٥٩/١ وما بعدهما.

(٣) الاستيعاب ١٨٩/١ وتاريخ الطبري ٣٣٧/٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣٥٩/٤.

(٥) تاريخ الطبري ٣٥٣/٤.

بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصاراً لله مرتين، فقال عثمان: أما القتال فلا^(١) فخرج زيد بن ثابت من عنده ييكي^(٢) وعلم بعزم أم المؤمنين عائشة على السفر للحج، فأتاها زيد بن ثابت وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد ومروان ابن الحكم فقالوا: يا أم المؤمنين لو أقمت، فإن أمير المؤمنين على ما ترين محصور، ومقامك مما يدفع الله به عنه، ورأت عائشة أن الفتنة أكبر مما يظنون، وأن الثائرين لا يلوي عزمهم قعود عائشة ولا سفرها، ولذلك اعتذرت عن القعود^(٣).

وهكذا نجد زيد بن ثابت يبذل ما في وسعه للدفاع عن عثمان بن عفان وكف الأذى عنه، ولكن المؤامرة كانت أكبر من أن يحبطها تدبير زيد بن ثابت.

ولما قتل عثمان رضي الله عنه أتى مروان بن الحكم دار عثمان، وأتاه زيد ابن ثابت وطلحة بن عبيدالله وعلي والحسن وكعب بن مالك وغيرهم فأخرجوا عثمان ودفنوه^(٤)، وهكذا لم يفت زيد بن ثابت الاشتراك في دفن عثمان، رغم ما في ذلك من الخطورة عليه.

(هـ) زيد مع علي بن أبي طالب :

قلنا إن زيد بن ثابت كان عثمانياً، ولما قتل عثمان مظلوماً حزن عليه كل الحزن، ولما بايع الناس علي بن أبي طالب تأخر زيد بن ثابت عن بيعته كما يقول الطبري^(٥)، ويظهر أن المصاب والحزن أقعده عن الإسراع في البيعة، بينما ينقل ابن سعد في الطبقات أن الناس لما قالوا قتل عثمان، بايع زيد بن ثابت علي بن أبي طالب في أول يوم ولي فيه الخلافة^(٦).

(١) طبقات ابن سعد ٧٠/٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٨١/٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٦/٥.

(٤) تاريخ الطبري ٤١٤/٤.

(٥) تاريخ الطبري ٤٣٠/٤ و٤٣١ ودائرة المعارف الإسلامية، مادة: زيد بن ثابت.

(٦) طبقات ابن سعد ٣١/٢.

واعترل زيد بن ثابت العمل السياسي في عهد علي بن أبي طالب، ولم يشهد شيئاً من مشاهدته، لأنه كان يراها فتنة، القاعد عنها خير من القائم فيها ولكن ذلك لم ينقص من حب علي بن أبي طالب في نفسه^(١)، ولم يمنعه من أن يروي ما سمعه من رسول الله ﷺ في فضل آل البيت كقوله ﷺ «إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٢).

(و) زيد مع مروان بن الحكم (أمير المدينة المنورة) :

لما ولي مروان بن الحكم إمارة المدينة المنورة قرب زيد بن ثابت، وبالغ في إكرامه، وكان يغضب إن مس زيد بن ثابت ما يكره مهما كان تافهاً، فقد روى الطيالسي في مسنده قال: حدثنا شعبة قال أخبرني عمرو بن مرة سمع أبا البختري يحدث عن أبي سعيد قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿١﴾ قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها، ثم قال: أنا وأصحابي خير، والناس خير، لا هجرة بعد الفتح.

قال أبو سعيد : فحدثت بهذا الحديث مروان بن الحكم — وكان أميراً على المدينة — فقال كذبت، وعنده زيد بن ثابت وزيد بن أرقم، فقلت: أما هذان إن شاء حدثاك، ولكن هذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة، وهذا يخشى أن تنزعه عن عرافة قومه، فرفع — مروان — الدرّة، فلما رأيا ذلك، قالوا: صدق^(٣).

وكان زيد بن ثابت لا يتوانى في نصح مروان وطلب الإصلاح لما فسد من تصرفات الناس وأعمالهم، فعن أبان بن عثمان عن أبيه قال: خرج زيد من عند مروان نحواً من نصف النهار، فقلنا: ما بعث إليه الساعة إلا لشيء سألته

(١) الاستيعاب ١/١٨٩.

(٢) فضائل الصحابة ٢/٦٠٢ ومسنند الإمام أحمد ٥/١٨١.

(٣) مسند الطيالسي ص ٦٠١.

عنه، فقمتم إليه فسألته، فقال: أجل، سألتنا عن أشياء سمعتها من رسول الله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نَضَرَ الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه» ائح وسألتنا عن الصلاة الوسطى، وهي الظهر^(١).

وخرج في زمن مروان صكوك الأرزاق، فتبايع الناس تلك الصكوك بينهم قبل أن يستوفوها، فدخل زيد بن ثابت ورجلٌ من أصحاب النبي ﷺ على مروان بن الحكم، فقالا: أتُحِلُّ الربا يا مروان؟ فقال: أعوذ بالله، وما ذاك، فقالا: هذه الصكوك تبايعها الناس ثم باعوها قبل أن يستوفوها، فبعث مروان الحرس يتبعونها ينزعونها من أيدي الناس ويردونها إلى أهلها^(٢).

(٨) وفاة زيد بن ثابت :

لما كبر زيد بن ثابت ابتلي بسلس البول، فكان يصلي وهو يخرج منه، ومات رحمه الله ولم يبرأ منه^(٣).

مات زيد بن ثابت رضي الله عنه سنة خمس وأربعين للهجرة على أرجح الأقوال وله من العمر ست وخمسون سنة^(٤) ودُفن في المدينة المنورة، وصلى عليه مروان بن الحكم — أمير المدينة المنورة — ونزل نساء العوالي، وجاء نساء الأنصار يبكين، فجعل ولده خارجة يذكرهن الله، لا تبكين، فقلن: لا نسمع منه، ولنبيكين عليه ثلاثاً، وغلبته^(٥). ورثاه حسان بن ثابت فقال :

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمعاني بعد زيد بن ثابت^(٦)
رحم الله زيد بن ثابت، لقد كان رجلاً أُمَّةً.

(١) مسند الإمام أحمد ١٨٣/٥.

(٢) مواهب الجليل من أدلة خليل ٢٨٨/٣ والموطأ ٦٤١/٢.

(٣) ابن أبي شيبة ٣٢/١ وسنن البيهقي ٣٥٦/١ والأوسط ١٦٥/١ وكشف الغمة ٥٠/١.

(٤) الاستيعاب ١٨٩/١ وصفة الصفوة ٧٠٦/١.

(٥) تهذيب ابن عساكر ٤٥٣/٥.

(٦) الإصابة برقم ٢٨٨٢.